كلمات الإمام الكاظم عليه السلام دراسة سيميائية سوسيو نصّية

الأستاذ الدكتور
طلال خليفة سلمان العبيدي
كلية التربية للبنات ـ جامعة بغداد
Talalkhalifa17@gmail.com

Imam Kadhim's words (pbuh): A socio- Texted study

Prof. Dr.
Talal Khaleefah Salman ALubaidi
University of Baghdad , College of Education for women

الملخص:-

كان هدف هذا البحث هو دراسة بعض كلمات الإمام الكاظم عليه السلام ووصاياه ذات البعد الاجتماعي والهدف الإصلاحي التي يبتغي عن طريقها إصلاح المنظومة الاجتماعية والقيمية والأخلاقية، ويرنو إلى مجتمع فاضل مثالي بعيد عن المشاكل والصراعات والأدواء التي تنخره وتؤدي به إلى نتائج وخيمة لا تُحمد عواقبها ومآلاتها، وقد اعتمدتُ على المنهج السيميائي في هذه الدراسة، موظّفا المسار السوسيو نصّي في المستوى الدلالي، فضلا عن إفادتي من المستويات الأخرى في التحليل السيميائي، كالمستوى النسقي الداخلي، والمستوى التداولي، وقد ظهر لي عن طريق الدراسة أن الإمام الكاظم عليه السلام وظّف العلامات اللغوية والأساليب بشكل دقيق وبقصدية واضحة؛ لكي يوصل رسائله إلى المتلقي في زمنه وفي الأزمان اللاحقة، تلك الرسائل التي يسعى الإمام عن طريقها سعيا صادقا لإصلاح الإنسان؛ ليكون مؤهّلا لخلافة الله تعالى في أرضه، ولبناء نفسه وعائلته ومجتمعه، وبذلك يصلح الإنسان، وتصلح العائلة، ويصلح المجتمع.

وتحقيقا لهدف البحث فقد اطلعت على الكثير من الأحاديث والوصايا المروية عن الإمام الكاظم عليه السلام، واخترت الأحاديث ذات البعد الاجتماعي والتربوي والأخلاقي؛ لكي أطبق عليها المسار السيكو نصّي في التحليل السيميائي، ولأدرس الطرق والآليات التي استطاع النصّ الكاظمي بوساطتها أن يولّد الدلالات الاجتماعية المؤثّرة في المتلقي، والساعية إلى بناء المجتمع الأمثل.

الكلمات المفتاحية: الإمام الكاظم، السيمياء، المسار السوسيو نصّي.

APSTRACT:-

This research aimed at studying some of I mam Kadhim's (pbuh) words and commandments that are of a social dimension and of a reformative aim, which would help rectify the social evaluative and ethical system. The aim has always been to have a perfect and virtuous society for away from those problems, conflicts and diseases that ravage society and lead to serious consequent es and unwelcome results.

The present study adopts the semantic approach, and at the same time, makes use of the socio - textual path at the semantic level. It also benefits from other levels in the semistic analysis, such as the internal thematic and pragmatic level.

The study has shown that Imam Kadhim (pbuh) employed language signs and styles neatly, intentionally, and clearly in order to make the receiver get his messages bothin this time and in later times. The iman tried sincerly, through these messages, to fix human beings, to make man Allah's successor in His land, to build himself, his family, and his society. only then, could we have righteous man, family and society.

In order to achieve this ohjective, I have acquainted myself with a large number of talks and command mends by Imam kadhim (pbuh), selecting those that are of a society, educational and ethical dimension in order to apply to it the socio - textured path in the semiottic analysts. Additionally, this has me study the methods and mechanisms that made the Kadhimian' text generate effective social implications in the receiver of the messages that aims a perfect society.

Key words: Imam Kadhim , semiotics, socio- texted path.

١ـ المقدمة

إن المتأمل في أحاديث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وفي أحاديث أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا، يجد أنها أحاديث تتغيّا أهدافا كثيرة، ومن ضمن أهدافها المهمة التي تريد تحقيقها هدف بناء الإنسان الصالح، والمجتمع المثالي، والمدينة الفاضلة (اليوتوبيا)؛ من أجل أن يحيا الإنسان حياة طيبة خالية من المنغّصات التي تكدّرها، وخالية من الذنوب والمعاصي والموبقات التي تبعد الإنسان عن دينه وعقيدته، ومن ثم تبعده عن ربه وعن مجتمعه، وتجعله إنسانا عاصيا وشريرا وغير مرغوب فيه، بدل أن يكون إنسانا صالحا يسعى إلى تكوين عائلة صالحة، تكون نواة لمجتمع مثالي صالح بعيد عن المشاكل الاجتماعية التي تكدّر صفوه.

لقد سعى القرآن الكريم، وعن طريق الكثير من سوره وآياته الكريمات إلى بناء المجتمع الأمثل، وجاءت أحاديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأحاديث العترة الطاهرة عليهم السلام؛ لتكمل ما بدأه القرآن الكريم، ولتفسّر وتؤوّل وتوضّح الكثير من آياته الكريمات التي ترسم معالم المجتمع الفاضل والمثالي، وتبيّن ميزاته، وتحثّ الناس على السعي الحثيث والمستمر إلى بناء المجتمع الخالي من السلبيات التي تؤثر فيه تأثيرا سلبيا، وتجعله مجتمعا يعاني من الكثير من الأدواء الاجتماعية التي تعود بالضرر الكبير عليه.

من الأحاديث والكلمات المؤثّرة التي شكّلت ملمحا مهما، وعلامة مضيئة في تاريخ أهل البيت عليهم السلام، أحاديث الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ووصاياه، فقد سعى بوساطة بعض أحاديثه وكلماته القصار إلى توجيه المتلقي إلى أهمية بناء الإنسان المثالي، وبناء المنظومة الاجتماعية المثالية البعيدة عن كل السلبيات التي قد تشوب المجتمعات الإنسانية، وهو عليه السلام بوصاياه المهمة هذه، يسعى بحرص كبير، وجهد حثيث، وفكر راسخ إلى أن يعيش الإنسان في مجتمع خالٍ من المعاصي، وبعيد عن الجريمة والتطرّف وقتل الآخر، أو السعي إلى إيذائه والتنكيل به، وبعيد عن الكذب والرشوة والنميمة والغيبة والسرقة... إلخ. ومن ثم إذا ترك المجتمع هذه السلبيات فسيكون مجتمعا لائقا لكي يعيش فيه الإنسان حياة هانئة سعيدة.

٢ـ الجانب النظري

سأسعى في هذا البحث إلى الوقوف على بعض كلمات الإمام الكاظم القصيرة التي تظهر فيها الدلالات الاجتماعية، ويبتغي من ورائها الإمام عليه السلام إصلاح الإنسان والمجتمع، وسأوظّف المسار السوسيو نصّي في التحليل السيميائي؛ للغوص في هذه الأحاديث والكلمات، وتحليلها تحليلا سيميائيا يستكنه الدلالات الاجتماعية التي تتوافر عليها؛ لكي نفيد منها في إصلاح أنفسنا ومجتمعاتنا التي يبدو أنها بأمس الحاجة إلى هذه النصوص المهمة، ولا سيما مع الانحدار السريع في المنظومة القيمية والأخلاقية الذي نشاهده في المجتمعات الإنسانية بشكل عام، وفي مجتمعنا بشكل خاص؛ بسبب تأثّر المجتمعات بفلسفة ما بعد الحداثة وبعض مرتكزاتها ومتبنياتها الخطيرة والهدّامة كالتشكيك والتفكيك والتقويض والعدمية والانفتاح وتشظّي الهوية والتهكّم والسخرية واللانظام واللاانسجام وقوة التحرّر...إلخ.

إن النصّ نسق خاص من العلامات اللغوية ((يصدر عن الشيفرة اللغوية وفق اشتغالات نصية معينة من جهة، ويتوسط بين الكاتب والقارئ من جهة ثانية، ويرتبط بسياق لغوي ونصّي وبمرجع دلالي نفسي واجتماعي من جهة ثالثة))[١]، وكلمات الإمام الكاظم مدار البحث نصوص صادرة عن المعصوم، تتوسط بين منتج النص، وهو الإمام عليه السلام، وبين متلقي هذا النص في زمنه وفي الأزمان اللاحقة له، ومن ضمن دلالات هذه النصوص هي الدلالات الاجتماعية التي يسعى عبرها إلى إصلاح الإنسان والمجتمع، وثمة مستويات للتحليل السيميائي، منها المستوى التداولي، والمستوى النسقي الداخلي، والمستوى الدلالي[٢] الذي ((يتمثل في التمظهرات اللغوية للدلالة الاجتماعية أو النفسية أو هما معا داخل النصوص الأدبية، وتنطلق دراسة هذا المستوى هي أيضا من الشيفرة اللغوية وتجليها النصي (...) وفي دراسة هذا المستوى يمكن الحديث عن مسارين منهجيين سيميائيين، المسار السوسيو ـ نصي، والمسار السيكو ـ نصي: الأول يرصد آليات توليد الدلالة الاجتماعية داخل النصوص الأدبية))[٣]، وهذا المستوى هو الذي سنعتمده في مقاربة وتحليل كلمات الإمام الكاظم عليه السلام تحليلا سيميائيا على وفق المسار السوسيو نصي الذي يرصد ويدرس طرق وآليات توليد الدلالة الاجتماعية في النصوص، فضلا عن

الإفادة من المستويات الأخرى؛ لاستكناه دلالاتها الاجتماعية المهمة التي تعود بالنفع الكبير على الفرد والمجتمع.

٣ـ الجانب التطبيقي

من كلمات الإمام الكاظم المهمة، على الرغم من قصرها، قوله لفضل بن يونس: ((أبلغ خيرا، وقل خيرا، ولا تكن إمّعة. قلتُ: وما الإمّعة ؟ قال: لا تقُل أنا مع الناس، وأنا كواحد من الناس))[٤]، فالإمام يأمره بوساطة فعلي الأمر (أبلغ) و(قل) أن يبلّغ ويقول الخير للناس جميعا، فهو عليه السلام لم يحدّد نوعا من الناس، أو قسما معينا من المجتمع ليبلغهم بالخير أو ليقوله لهم، وإنما جاء الأمر بالإبلاغ بالخير وقوله مطلقا؛ ليشمل جميع أفراد المجتمع دون تمييز أو تفضيل فئة على أخرى، وهو بذلك يحقّق أكثر من أمر، وكما يأتي:

١- إفشاء الإبلاغ بالخير وقوله وفعله في المجتمعات الإنسانية، وبذلك يشيع الخير ويكون مائزا للمجتمع المتحضّر البعيد عن الشرور والمشاكل.

٢- إن مجتمعا ينماز بقول الخير وفعله، ويبتعد عن قول الشر وفعله سيكون مجتما أمثل يتحقق فيه الخير والسعادة والرفاهية لأفراده جميعا.

٣- إذا قرأنا معنى المعنى لهذا النص، أو حاولنا استكناه النسق الضامر فيه، فإن الأمر بإبلاغ الخير وقوله، ومن ثم فعله، يعني أمرا بترك الإبلاغ بالشر وقوله وفعله، وإذا ما ترك الإنسان قول الشر وفعله فإنه سيعيش حياة مثالية بعيدة عما يشوبها من منغّصات.

يكمل الإمام عليه السلام وصيته لفضل بن يونس، إذ يقول له: (ولا تكن إمّعة)، ناهيا إياه بوساطة (لا) الناهية الجازمة عن أن يكون إمّعة، وهو داء اجتماعي يصيب بعض الناس، والإمعة في اللغة هو ((الرجل يتابع كل أحد على رأيه، لا يثبت على شيء. ومن يقول: أنا مع الناس))[٥]، وهو الرجل الذي يتميز بضعف رأيه وضعف شخصيته، ولا يثبت على رأي، ويوافق كل شخص على رأيه، ويقول: أنا معك، دون تمحيص أو تدقيق ورويّة، فالإمام يريد لهذا الرجل الذي يحاوره، ويحاورنا عن طريقه، أن لا يبتلى بهذا المرض

الاجتماعي الذي يعود بالضرر على الإنسان والمجتمع. وحينما سأله الرجل عن معنى الإمعة، أجابه عليه السلام إجابة دقيقة قائلا: (لا تقُل أنا مع الناس، وأنا كواحد من الناس)، موظّفا (لا) الناهية مرة ثانية؛ لينهاه عن قول: أنا مع الناس، وأنا كواحد من الناس، فهو لم يجبه أن الإمعة هو الإنسان الذي ينماز بالصفات المذكورة آنفا، بل كان جوابه عمليا بأن نهاه مباشرة عن هذين القولين، ولو حاولنا الإفادة من هذا الحديث، على وجازته، سنجد أن المجتمع به حاجة كبيرة إلى التأمل في معانيه وإشاراته التي يبعثها، فكم من الناس الإمّعات نلتقي ونشاهد؟ وكم من هؤلاء الإمعات يحتاجون إلى تطبيق هذا الحديث؛ ليعودوا إلى وضعهم الطبيعي، ويشفوا من هذا الداء الاجتماعي الذي يقلّل من قيمتهم واحترامهم في المجتمع؟، فضلا عن أن الشفاء من هذا الداء سيعيد للإنسان ثقته بنفسه وتوازنه، وسيكون إنسانا فاعلا ومؤثرا في مجتمعه بدل أن يكون ذيلا للآخرين وإمّعة ولا فائدة مرجوّة منه، وبذلك نجد الأثر الاجتماعي الواضح لهذه الكلمات الكاظمية التي تريد إصلاح الإنسان والمجتمع.

مما يروى عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه رأى رجلين يسبّ أحدهما الآخر، فقال: ((البادي أظلم، ووزره ووزر صاحبه عليه، ما لم يعتدِ المظلوم)) [٦]. إن هذه الكلمة القصيرة تسلّط الضوء على ظاهرة اجتماعية ممقوتة جدا، وتؤدي إلى نتائج خطيرة ما لم يتم السيطرة عليها ومنعها، هي ظاهرة السباب بين الناس، التي نهى عنها الباري عزّ ذكره في قوله: ﴿ولا تسبّوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾ الأنعام ١٠٨، وفي قوله: ﴿ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ الحجرات ١١، فالإمام ينبّه إلى خطورة هذا الداء الاجتماعي، وإلى الظلم الذي يمارسه من يسبّ الآخرين ويشتمهم، إذ يبدأ كلامه بالجملة الخبرية: (البادي أظلم) المكونة من المبتدأ والخبر، ومن الإشارات السيميائية التي يبعثها الخبر (أظلم) أنه جاء على صيغة التفضيل (أفعل)، أي أن البادئ بالسبّ هو الإنسان الأشدّ ظلما للآخرين، فلم يقل مثلا: البادي ظالم، وبذلك يكون ظلمه عاديا، بل قال: أظلم؛ ليشير إلى شدّة الظلم الذي يقوم به الإنسان الذي يبدأ بالسبّ، ثم يخبر أن وزر هذا الإنسان البادئ بالسباب، ووزر من وقع السباب عليه، سيكون على الذي بدأ بالسباب، بشرط أن لا يعتدي المظلوم على من ظلمه بسبّه وشتمه، لأننا نجد في بعض الأحيان، ومن ضمن الأدواء الاجتماعية، أن الذي

ظُلِم ووقع عليه فعل السبّ يحاول أن ينتقم ممن سبّه وظلمَه أضعافا مضاعفة، وهذا ما يريد الإمام أن ينبّه إليه من ضمن خطواته في الإصلاح الاجتماعي، إذ يبيّن ظلم من مارس هذا الفعل المشين، ووزره والذنوب التي يقترفها جراء فعله، وظلم من وقع عليه هذا الفعل إن اعتدى على من ظلمه وتجاوز الحد. إن المجتمع في كل زمان بحاجة إلى الإقلاع عن هذا الفعل السلبي الذي يعود بالضرر، والكثير من المشاكل عليه، فقد يؤدي السباب إلى عواقب وخيمة تصل إلى انتهاك الأعراض وسفك الدماء؛ بسبب هذا الفعل الطائش وغير الأخلاقي، والإمام حينما بيّن ظلم ووزر من يقوم بهذا الفعل إنما أراد إصلاح المنظومة الاجتماعية التي كثيرا ما يصيبها التشوّه وتغزوها المشاكل؛ بسبب هذا الفعل المرفوض دينيا وأخلاقيا واجتماعيا.

ومما ينقل عن الإمام الكاظم عليه السلام قوله لعلي بن يقطين الذي كان يعمل وزيرا عند هارون العباسي، وهو من خواص أصحاب الإمام: ((كفّارة عمل السلطان الإحسان إلى الإخوان))[٧]، إن هذا الرجل طلب من الإمام عليه السلام أن يسمح له بالاستقالة من عمله مع هارون العباسي؛ لأنه كان يستشكل من هذا العمل، إلا أن الإمام طلب منه البقاء في عمله؛ لكي يخدم الناس والمجتمع، ويقضي حوائجهم، لذلك يبدأ هذه الكلمة الموجزة بلفظة (كفّارة) التي وقعت مبتدأ مرفوعا، والتي تشير إلى محو الذنوب، إذ من معانيها: ((كفّر الله عنه الذنب محاه، ومنه الكفّارة؛ لأنها تكفّر الذنب))[٨] وتمحوه، وجاء الخبر (الإحسان) والجار والمجرور (إلى الإخوان)؛ ليبيّن أن الإحسان إلى الإخوان هو الذي يمحو ذنوب العمل مع السلطان الظالم، وليخبر عبره الإمام عليه السلام علي بن يقطين أن لا يستشكل من عمله مع السلطان، ولا يحسّ بالذنب جراء هذا العمل، فقد حملت العلامات اللغوية (كفارة)، و(الإحسان)، و(الإخوان) من الإشارات السيميائية والدلالات الدينية والاجتماعية ما يطمْئِن هذا الرجل ويبعث الأمل فيه للاستمرار في عمله؛ لأن ما يكفّر ذنوب العمل مع السلطان الظالم هو قضاء حوائج الإخوان والناس والمجتمع، والإحسان إليهم، وهذه مسألة مهمة ينبّهنا إليها الإمام عليه السلام، وهي أن يسعى الإنسان، إذا ما شغل منصبا معينا، إلى العمل بجد ونزاهة، وإلى استثمار وظيفته من أجل الإحسان إلى الناس، وخدمة مجتمعه بصدق وإخلاص، لا أن يستغلّ هذه الوظيفة في أذى الناس واستغلال المجتمع بأخذ الرشوة أو مساومة الناس على أمور أخرى من أجل إنجاز أعمالهم ومعاملاتهم، فهذا العمل من

الأمور المحرّمة والأدواء الاجتماعية الفتّاكة التي غزت المجتمعات وشوّهتها، وجعلت بعض الموظّفين يستسيغون أكل السحت والحرام عن طريق استغلال الناس بإنجاز معاملاتهم، فإنجاز المعاملات من واجب الموظّف؛ لأنه يتقاضى عليه أجرا من الدولة أو من ربّ العمل، أما أن يشترط أخذ الرشوة فهذا ما لا يرضاه الله تعالى، وهذا مما سعى الإمام، وعن طريق هذه الكلمة القصيرة، إلى توجيه أنظارنا إليه؛ لكي لا نقع فيه، ولا ندنّس المجتمع بهذا العمل اللاأخلاقي.

من كلمات الإمام الكاظم القصار التي تحمل إشارات سيميائية اجتماعية قوله عليه السلام: ((عونك للضعيف من أفضل الصدقة))[٩]، فأنواع الصدقات كثيرة إلا أن من أفضلها، بحسب كلام الإمام، تقديم العون للضعيف. إن التحليل السيميائي لهذه الكلمة يلفت أنظارنا إلى قول الإمام: (عونك للضعيفِ)، إذ جاءت كلمة (الضعيف) محرّكة بالكسر؛ لأنها سبقت بحرف الجر، ولتشير إلى انكسار الإنسان الضعيف وحاجته إلى المعونة، وقد كان بإمكان الإمام أن يقول: عونك الضعيفَ، فتكون الكلمة محركة بالفتح، إلا أن تحريكها بالكسر كان أبلغ في بيان حالة الانكسار والفقر والعوز التي يعانيها هذا الإنسان، ثم يكمل عليه السلام فيقول: (من أفضل الصدقة) إذ يوظّف صيغة التفضيل (أفضل) التي تشير إلى أن عون الإنسان لأخيه الإنسان الضعيف يعدّ من أحسن الصدقات التي تعود على الإنسان المُعين والمتصدّق بأفضل الأجر في الدنيا والآخرة، وتعود على الإنسان المحتاج بالخير، وتعود على المجتمع بالكثير من الفوائد، فيكون مجتمعا مُعينا للضعفاء والفقراء والمحتاجين وفيه حالة رائعة من التكافل الاجتماعي التي تحمي الفقراء والمعوزين من إذلال أنفسهم أو بذل ماء وجوههم؛ بسبب الحاجة والعوز والجوع.

من وصايا الإمام المهمة التي تحمل دلالات اجتماعية وتربوية وأخلاقية، فضلا عن احتوائها على مبادئ تنموية مهمة تصبّ في تنمية الموارد البشرية قوله عليه السلام: ((اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الإخوان والثقات الذين يعرّفونكم عيوبكم، ويخلصون لكم في الباطن، وساعة تخلون فيها للذّاتكم في غير محرم، وبهذه الساعة تقدرون على الثلاث ساعات. لا تحدّثوا أنفسكم بفقر، ولا بطول عمر، فإنه من حدّث نفسه بالفقر بخل، ومن حدّثها بطول العمر يحرص. اجعلوا

لأنفسكم حظا من الدنيا بإعطائها ما تشتهي من الحلال، وما لا يثلم المُروّة، وما لا سرف فيه، واستعينوا بذلك على أمور الدين، فإنه روي: ليس منا من ترك دنياه لدينه، أو ترك دينه لدنياه)) [١٠]. إن إنعام النظر في هذا النص يفضي إلى استكناه عدة منظومات، ومن أهمها المنظومة الاجتماعية التي يريد الإمام بوساطتها أن يجعل المجتمع يتحرك ويعيش على وفق نظام دقيق، ولأهمية موضوع الوصية فإنه عليه السلام يفتتحها بفعل الأمر (اجتهدوا) المتصل بواو الجماعة، موظّفا صيغة الخطاب، موجّها الكلام للجميع، وجاذبا انتباههم إلى هذه الوصية المهمة، طالبا منهم الاجتهاد في تطبيقها، وفي أن ينظّموا أوقاتهم، ويقسموا زمانهم أربع ساعات، ولا بد من الإشارة إلى أهمية مسألة تنظيم الوقت عند الإنسان والمجتمع، فتنظيم الوقت وتقسيمه على وفق ما يحتاجه الإنسان يعد من الأمور التنموية المهمة التي تجعل الإنسان منتظما ومرتّبا في أعماله كلها وفي حياته، ثم يعود هذا التنظيم بالفائدة على عائلته، فتكون عائلة منتظمة ومرتّبة في حياتها وفي علاقتها بالآخرين، وإذا انعكس سلوكها المنتظم على المجتمع، وأثرت فيه فإن المجتمع سيكون هو الآخر على درجة من التنظيم والوعي واحترام الوقت واستثماره وعدم تضييعه، وبذلك يكون مجتمعا ينحو نحو النظام والتنظيم، وسيتطور تطورا مطّردا.

تُخصّص الساعة الأولى ـ على وفق كلام الإمام ـ لمناجاة الله ودعائه، متمثّلة في أداء الواجبات والمستحبّات، والتقرب إلى الله تعالى ومناجاته، وقد وظّف لفظة المناجاة؛ لأنها تشير سيميائيا إلى الحديث الخافت الذي فيه نوع من السرية ما بين العبد وربه، وفيها طلب المعونة منه تعالى، " ناجيته أي ساررته، وأصله أن تخلو به في نجوة من الأرض، وقيل: أصله من النجاة، وهو أن تعاونه على ما فيه خلاصه " [١١]، وفي تقديمه هذه الساعة على الساعات الأخرى إشارة إلى أهميتها ووجوب العناية بها؛ لأنها تمثل العلاقة بين العبد وخالقه سبحانه. أما الساعة الثانية فعلى الإنسان أن يخصّصها لأمور المعيشة، وأن يجتهد في العمل؛ ليحقّق الحياة الجيدة والمستقرّة لنفسه ولعائلته، ويجنّبهم الفقر والعوز وشظف العيش والحرمان. ويخصّص الإمام الكاظم عليه السلام الساعة الثالثة لمعاشرة الإخوان والثقات، ولكن أي نوع منهم؟ وما صفاتهم؟ إنه يحدّد صفاتهم بدقّة بوساطة الاسم الموصول (الذين) الذي وقع صفة للإخوان والثقات، وفتح بابا لوصفهم، ومن صفاتهم:

١- أنهم (يعرّفونكم عيوبكم)، وقد أشار الفعل المضارع (يعرّفون) إلى استمرارهم في هذا الأمر وعدم تركه للمجاملة أو الخجل أو غير ذلك، وهذه صفة مهمة في الصديق الصدوق والمخلص، فعليه ألا يجامل صديقه ويزيّن له أخطاءه، ويستر عيوبه، ويسكت عن إساءته لنفسه ولمجتمعه، بل عليه أن يعرّفه بعيوبه، وينبّهه إلى أخطائه، ولا يسكت عن إساءته؛ لأنه بسكوته ومجاملته لصديقه، والوقوف معه على الباطل، فإنه سيضرّه ضررا كبيرا، ويوقعه في المعصية والسوء الذي يعود بالضرر عليه وعلى المجتمع، وهذا ما نلاحظه على الكثير من أصدقاء هذا الزمن الذين أصبحوا أصحابا غير صادقين، وغير حريصين على أصدقائهم، وهم يظنون أنهم بإخفاء عيوب أصحابهم عنهم أنهم يقدّمون لهم جميلا، ويصنعون لهم معروفا ويجاملونهم، في حين أنهم يوقعون عليهم الضرر، ويغشّونهم، ويجاملونهم على الباطل، وهذا ما لا يرضاه الإمام للإنسان والمجتمع؛ لأنه يشجّع الإنسان على الباطل، ويعود بالسوء على الناس والمجتمع.

٢- أنهم (يخلصون لكم في الباطن)، وهذه صفة مهمة في الإخوان والأصحاب، وقد وظّف الفعل المضارع (يخلصون)؛ للإشارة إلى استمرارهم بالإخلاص، فهم مخلصون في الأحوال كلها، وهم مخلصون في الظاهر والباطن، ففي ذكره للفظة (الباطن) وتركه للفظة الظاهر إشارة واضحة لأهمية الإخلاص في الباطن، إذ كثيرا ما يجد الإنسان أصحابا مخلصين في الظاهر، ولكن قلّما يجد أصحابا مخلصين له في الباطن، وعند غيابه عنهم، وهذا داء من الأدواء الاجتماعية الخطيرة التي يشخّصها الإمام في وصيته، فهو يريد منا ألا نكتفي بالإخلاص الظاهري الذي يكون في كثير من الأحيان رياءً وسعيا إلى السمعة وكسب ودّ الصديق، بل يريد منا أن نكون مخلصين في دواخلنا وفي أعماق نفوسنا لإخواننا وأصحابنا، وبذلك يبتعد الإنسان عن المجاملات الكاذبة والرياء والإخلاص المصطنع، ويصبح إنسانا مخلصا في ظاهره وباطنه، ومن ثم فلا فرق بين ظاهره وباطنه، فيكون إنسانا صادقا محترما، ولا يكون إنسانا كاذبا منافقا مرفوضا من المجتمع الذي يعيش فيه.

٣- لقد ذكر الإمام عليه السلام (الإخوان والثقات)، وهو هنا يحفّزنا على معاشرة الأصحاب الثقات الذين ينمازون من غيرهم بأنهم محل ثقة، وأهل لهذه الثقة الممنوحة لهم؛ لما يتميزون به من صفات الصدق والعدل وعدم الخيانة.

الساعة الرابعة يخصّصها الإمام عليه السلام للذّات الإنسان المتنوعة فيقول: (وساعة تخلون فيها للذّاتكم في غير محرم)، وهو هنا يبيّن حاجة مهمة من حاجات الإنسان والمجتمع، وهي أن يخلو للذّاته التي تريدها نفسه كالطعام والشراب... إلخ، إذ من غير المعقول وغير المنطقي أن يترك الإنسان هذه اللذّات؛ لأن نفسه مجبولة على حبّها، وهو يسعى إليها؛ لأنها تشكّل جزءا من غرائزه، لكن الإمام يقيّد هذه اللذّات قيدا شرعيا وأخلاقيا يحافظ بوساطته على عفّة الإنسان والمجتمع، فيقول: (في غير محرم)؛ لأن قسما من الناس يحصل على لذّاته في محرم، ودون مراعاة للضوابط الشرعية والأخلاقية والاجتماعية، ولا سيما لذّة الجنس، وبهذا العمل فإن الحرام سينتشر والفاحشة ستشيع في المجتمع، فيكون مجتمعا مفكّكا فاسدا بعيدا عما أراد الله له من المحافظة على الشرف والعفّة والأخلاق والنسب، وفيه إشكاليات كثيرة منها صعوبة نسبة الأولاد إلى آبائهم، وهذا ما نجده في بعض المجتمعات الغربية التي فتحت هذا الباب على مصراعيه، بحجة الحرية الشخصية والمجتمعية، وبحجة التطور، فأصبحت مجتمعات تعاني من مشكلة تمزّق الهوية، وعدم الانتماء، وعدم وجود الجو الأسري الحقيقي الذي يعيش فيه الأبناء حياة مطمئنة ومبنية على الثوابت الدينية والعقدية والأخلاقية والاجتماعية. وبعد ذلك يبيّن الإمام عليه السلام أهمية ساعة الخلو لهذه اللذّات في غير محرم، وأثرها في الإنسان والمجتمع، فيقول: (وبهذه الساعة تقدرون على الثلاث ساعات)، فهذه الساعة الرابعة تعطي للإنسان قوة ودافعية وقدرة على القيام بمتطلبات الساعات الثلاث الأولى، وقدرة على إدامة حياته على وتيرة منضبطة ودقيقة تحقّق له حياة جيدة ومريحة ومنتظمة.

ينتقل الإمام عليه السلام إلى أمر آخر بعد ذكره للساعات الأربع، إذ يقول: (لا تحدّثوا أنفسكم بفقر، ولا بطول عمر)، إذ ينهى بوساطة (لا) الناهية عن التحدّث إلى النفس بأمرين خطيرين يرجعان بالضرر على الإنسان والمجتمع، ويشيعان الظواهر السلبية فيهما، هما الفقر وطول العمر، ثم يذكر سبب نهيه عن هذين العملين السلبيين قائلا:

(فإنه من حدّث نفسه بالفقر بخل)، مؤكدا كلامه ب(إن) الحرف المشبه بالفعل الذي يفيد التوكيد، وموظفا أسلوب الشرط المتمظهر بوساطة (من) الشرطية الجازمة، وجملة الشرط (حدّث نفسه بالفقر)، وجواب الشرط (بخل)؛ ليبيّن نتيجة من يحدّث نفسه بالفقر، ويتوقّع أنه سيكون فقيرا في قابل الزمان، إذ ستكون نتيجة هذا التوقّع السلبي الذي ينشر الطاقات السلبية في المجتمع أن يكون الإنسان بخيلا يحرم نفسه وعائلته من نعمة المال التي أنعمها الله عليه، فيعيش عيشة الفقراء، ويحاسب حساب الأغنياء، ويكون الهناء بماله لورثته ووزره عليه. ثم يضيف قائلا: (ومن حدّثها بطول العمر يحرص)، موظفا أسلوب الشرط بوساطة (من) الشرطية، وجملة الشرط، وجواب الشرط؛ ليبيّن أن نتيجة توقّع طول العمر هي الحرص السلبي الذي يجعل الإنسان يعيش في دوامته، ويؤثر في حياته وفي حياة عائلته، وفي مجتمعه تأثيرا ضارا وسلبيا، يجعل من الحرص هاجسا ينغّص حياته.

يذكر بعد ذلك الإمام الكاظم عليه السلام أمر إعطاء النفس ما تشتهي من الحلال فيقول: (اجعلوا لأنفسكم حظا من الدنيا بإعطائها ما تشتهي من الحلال، وما لا يثلم المُروّة، وما لا سرف فيه)، إذ يفتتح هذه الجملة الإنشائية الطلبية بفعل الأمر (اجعلوا) المتصل بواو الجماعة، موظّفا صيغة الخطاب؛ ليوجّه الجميع بهذا التوجيه المهم المتمثل بإعطاء النفس نصيبا من الدنيا ومتطلباتها وملذّاتها وشهواتها، بشرط أن يكون من الحلال وليس من الحرام أو من الحلال المخلوط بالحرام، وهذا ما أشار إليه الجار والمجرور (من الحلال)، فقد قيّد الإمام إعطاء النفس حظّها من الدنيا بالحلال فقط؛ لكي لا يجنح الإنسان إلى الحرام من أجل لذّة عابرة أو شهوة وقتية، وهذا الداء الاجتماعي الخطير نجده يصيب الكثير من المجتمعات، ويؤدي بها إلى عواقب خطيرة، إذ تشيع الفاحشة، ويكثر الحرام؛ بسبب عدم اهتمام الناس بالحلال، أو عدم اكتراثهم بفعل الحرام، إذ يبدؤون بالسعي إلى استسهال الحرام والتنظير له بتوظيف أيديولوجيات بعيدة عن الدين والعقيدة والأخلاق، مما يؤدي بهم إلى الوقوع في الحرام والتعوّد عليه، فيؤدي ذلك إلى سقوط الناس والمجتمعات فيما يغضب الله تعالى، وابتعادها عما يرضيه. ومما يلفت النظر في هذه الجملة الانزياح الأسلوبي المتمظهر عن طريق تقديم الجار والمجرور (لأنفسكم) على المفعول به (حظا)، فقد أشار إلى الاختصاص، والعناية والاهتمام، فالعناية بالنفس وإعطاؤها ما تريد من الحلال، وترويضها

على قبول الحلال فقط دون الحرام يشكّل ملمحا مهما من ملامح هذه الجملة وهذا الانزياح الأسلوبي. ثم يضيف عليه السلام قائلا: (وما لا يثلم المُرُوّة، وما لا سرف فيه)، مضيفا شرطين إلى الشرط الأول (من الحلال)، يتمثّل أحدهما بإعطاء النفس ما تشتهي بشرط عدم ثلم المُرُوّة، والمُرُوّة لغة من المروءة، وهي: ((آداب نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات. يقال: مَرُؤ الإنسان وهو مَرِئ مثل قَرُب فهو قريب، أي ذو مروءة. قال الجوهري: وقد تشدد فيقال: مُرُوّة))[١٢]، فالإمام عليه السلام يريد منا إعطاء أنفسنا ما تريد بشرط عدم ثلم المنظومة الأخلاقية والآداب النفسية والاجتماعية التي يجب مراعاتها والحفاظ عليها، والثبات على الأخلاق الحسنة والعادات الجميلة والمثل العليا التي تجعل الإنسان إنسانا صالحا، والمجتمع مجتمعا مثاليا يحافظ على منظومة الآداب والأخلاق، دون ثلمها أو التجاوز عليها. أما الشرط الثالث فيظهر في قوله: (وما لا سرف فيه)، إذ يطلب من الناس أن يجعلوا لأنفسهم نصيبا من الدنيا، بشرط عدم الإسراف في هذا النصيب الذي يخصّصونه لأنفسهم؛ لأن الإسراف من الأمور المحرمة، وهو ((صرف الشيء فيما لا ينبغي زائدا على ما ينبغي (...) والإسراف تجاوز في الكمية، وهو جهل بمقادير الحقوق))[١٣]، وهو ((تجاوز الحدّ في كل فعل يفعله الإنسان، وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر))[١٤]، لذلك يحذّر منه الإمام، فقد يبالغ الإنسان ويسرف في إعطاء نفسه ما تطلب من ملذّات وشهوات، وقد يتجاوز حدا أو حدودا في أفعاله، وفي تحقيق ما تصبو إليه نفسه دون اكتراث أو حفاظ على حقوقه الممنوحة له وعلى حقوق الآخرين، وبتجاوز الحدّ هذا يتخلخل نظام الإنسان الحياتي، مسبّبا تخلخلا وعدم انتظام في النظام الاجتماعي الذي يعيش فيه.

ثم يأمر الإمام عليه السلام بالاستعانة بالأمور التي ذكرها في وصيّته على أمور الدين قائلا: (واستعينوا بذلك على أمور الدين)، موظّفا الجملة الإنشائية المصدّرة بفعل الأمر (استعينوا)، والجار والمجرور (بذلك) الذي يشير إلى الموارد التي ذكرها في هذه الوصية المهمة، ومنها تقسيم الأوقات إلى أربع ساعات، وعدم تحديث النفس بالفقر وطول العمر، وتخصيص نصيب من الدنيا للنفس بإعطائها ما تشتهي وما تريد بشرط الحلال، وعدم ثلم المروءة، وتجنّب الإسراف، ثم يبيّن سبب أمره بالاستعانة، مستشهدا بحديث مروي عنهم عليهم السلام، إذ يقول: (فإنه روي: ليس منا من ترك دنياه لدينه، أو ترك دينه لدنياه)، فهو يوجّه

الأنظار إلى موضوع مهم مفاده أن من ترك دنياه وعزف عنها وأهملها؛ بسبب دينه فهو ليس من أتباعهم وليس منهم، ومن ترك دينه وأهمله، ولم يلتزم بالأوامر والنواهي الإلهية؛ بسبب انشغاله بالدنيا وزخارفها وملذّاتها وشهواتها، فهو أيضا ليس من أتباعهم ولا ينتمي إليهم وإلى مدرستهم المحمّدية العلوية، وهو بكلامه واستشهاده بهذا الحديث الشريف يتناص ويشير إلى قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص ٧٧)، فالخالق عزّ ذكره يريد من الإنسان الموازنة بين متطلبات الآخرة ومتطلبات الدنيا، وعدم إهمال الدنيا على حساب الآخرة، أو إهمال الآخرة على حساب الدنيا، ويريد الإحسان من الإنسان كما أحسن إليه سبحانه، وينهاه عن طلب الفساد في الأرض، وقريب من هذا ما أراد الإمام الكاظم عليه السلام أن يوصله إلى الناس والمجتمعات في وصيّته هذه، فهو عِدْل القرآن في زمنه، بدليل حديث الثقلين، وهو المؤهل لإيصال الثقافة القرآنية، وثقافة العترة الطاهرة؛ لكي يتأسّى بها الناس ويكونوا أناسا بعيدين عن الأمور السلبية التي لا ترضي الله تعالى، وتؤثر فيهم وفي مجتمعاتهم تأثيرا ضارا وسلبيا.

من وصايا الإمام الكاظم عليه السلام ذات البعد الاجتماعي قوله: ((لا تُذهِبِ الحشمة بينك وبين أخيك، وابقِ منها، فإن ذهابها ذهاب الحياء)) [١٥]، إذ ينهى الإمام عن إذهاب الحشمة بين الإنسان وأخيه الإنسان، والحشمة هي ((الحياء والانقباض. احتشم منه، واحتشم عنه وحشمه وأحشمه: أخجله)) [١٦]، وهنا يظهر دور العلامة اللغوية (الحشمة) وأثرها في حقل العلامات السيميائية المشكّلة لهذا النص القصير والمؤثّر، فالحياء والاستحياء والخجل الإيجابي من الأمور المهمة الواجب توافرها في التعامل بين الناس في المجتمعات الراقية، لذلك نجد الإمام ينهى نهيا مباشرا وقاطعا بوساطة (لا) الناهية الجازمة والفعل المضارع (تُذهِب) عن إذهاب الحشمة أو التخلّي عنها في التعامل والحديث بين الإخوان والأصدقاء؛ لأننا نجد بعضهم، وبحكم العلاقة الوطيدة والتقارب الكبير يسعى إلى رفع حاجز الاحترام والتقدير بينه وبين صاحبه، فيبدأ بالتلفّظ بكلمات غير لائقة، أو التعامل بطريقة بعيدة عن الاحترام المتبادل، وتنأى عن الحشمة والحياء، وإذا ما استمرت هذه الطريقة من التعامل غير الحضاري بين الأصحاب فإنها ستؤدي إلى نتائج غير طيبة تؤثر في العلاقات الاجتماعية

القائمة على التقدير والاحترام والاستحياء، فتكون علاقات غير محترمة، ومبنية على عدم الحياء بين الناس، وقد تتطور إلى السبّ واللعن والفحش في القول والإقذاع في الكلام، وهذه سمة اجتماعية سلبية جدا لا يريدنا الإمام أن نقع فيها، أو ننحدر في قاعها. ثم يوظّف فعل الأمر المجزوم بحذف حرف العلة (ابْقِ)؛ ليأمر بإبقاء الحشمة، أو إبقاء شيء منها في التعامل مع الناس، ثم يعلل نهيه عن إذهابها، وأمره بإبقائها، بالتأكيد بوساطة (إن) على أن إذهابها أو عدم الحرص على إبقائها، أو التخلي عنها لأسباب واهية وغير مبررة ولا مقبولة يعدّ إذهابا للحياء والاحترام في التعامل بين الناس، ومن ثم يؤدي إلى نكوص الأفراد والمجتمعات ووقوعهم في الخطأ الذي يؤدي بالمجتمع إلى الرذيلة والفاحشة التي لا تحمد عقباها ولا تؤمن نتائجها.

يقول الإمام عليه السلام في إحدى وصاياه: ((من تكلّم في الله هلك، ومن طلب الرئاسة هلك، ومن دخله العجب هلك))[١٧]. إن هذا النص يتكون من ثلاث جمل شرطية، وأسلوب الشرط من أساليب اللغة المهمة التي تبين المقدمة والجزاء، أو تبين الشرط وجزاءه، فإن تحقّق الشرط تحقّق جزاؤه، وتحمل الجملة الأولى دلالة عقدية يبيّن عبرها الإمام عليه السلام أن الإنسان الذي يلج علم الكلام، ويتحدث في عقيدة التوحيد، وفي صفات الله الجمالية والجلالية، دون علم بها، أو أنه غير مؤهل للحديث فيها فإن النتيجة ستكون إهلاك نفسه بإدخالها في هذا المدخل الصعب، وفي هذا الباب الدقيق من العلم. أما الجملة الثانية: (ومن طلب الرئاسة هلك) فتحمل دلالتين، نفسية واجتماعية، فالإنسان الذي يطلب الرئاسة أو الإمارة أو أي منصب من مناصب الدنيا، ويلحّ في طلبه مصاب بعقدة النقص، فهو يريد عن طريق المنصب أن يعوّض عقدة النقص المؤثّرة فيه وفي سلوكه، كما أن هذا الداء المتمثّل بالسعي المحموم لطلب الرئاسة يعدّ من الأدواء الاجتماعية الخطيرة التي تصيب المجتمعات، إذ نجد الكثير من الناس يسعون سعيا حثيثا ومحموما من أجل طلب المنصب والحصول عليه بكل الوسائل المتاحة وغير المتاحة، الشرعية وغير الشرعية، فأضحت الفلسفة الميكافيلية (الغاية تبرر الوسيلة) هي المحرك والدافع لهذا الصنف من الناس، ولا همّ لهم سوى الحصول على المنصب والجلوس على الكرسي الذي غالبا ما غيّر من جلس عليه، ومسخه وحوّله من إنسان سوي نزيه مفيد لمجتمعه إلى إنسان غير سوي وغير نزيه ومضر لمجتمعه، ومن ثم فتكون نتيجة طلب الرئاسة ما ظهر في جواب الشرط، عبر الفعل الماضي (هلك)،

إذ من دلالات وإشارات الفعل الماضي أنه يشير إلى التحقّق والثبوت، فإذا ما طلب الإنسان الرئاسة فإن هلاكه متحقّق وثابت، وهذا أمر خطير فيه هلاك الإنسان، وأذى المجتمع، نبهنا إليه الإمام؛ لكي يتركه الإنسان ولا يورّط نفسه في الوقوع فيه. وتحمل الجملة الثالثة دلالتين أيضا، نفسية واجتماعية، إذ يقول عليه السلام: (ومن دخله العجب هلك)، فالعجب مرض نفسي يصيب الإنسان؛ بسبب عقدة النقص المصاب بها، فيحاول سدّ نقصه بالعجب والخيلاء والتكبّر على أبناء مجتمعه، وإذا ما زاد العجب في مجتمع من المجتمعات فإنه سيصبح داءً اجتماعيا لا تؤمن نتائجه، إذ يسبّب هذا الداء الهلاك للفرد والمجتمع، بحسب كلام الإمام؛ لأن العجب والتكبّر يبعد الإنسان عن الله تعالى، ويبعده عن مجتمعه، ويؤدي به إلى نتائج كارثية؛ لذلك نجد القرآن الكريم ينهى عنه، وكذلك الأحاديث الواردة عن النبي وأهل بيته الطاهرين، إذ ورد عنه صلى الله عليه وآله: ((إن العجب ليحبط عمل سبعين سنة))[١٨]، وورد عنه أيضا: ((كفى بالمرء علما أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بنفسه))[١٩].

ومما يروى عن الإمام الكاظم عليه السلام في الحثّ على السخاء وحسن الخلق قوله: ((السخيّ الحسن الخلق في كنف الله، لا يتخلى الله عنه حتى يدخله الجنة. وما بعث الله نبيا إلا سخيا، وما زال أبي يوصيني بالسخاء وحسن الخلق حتى مضى)) [٢٠]، إذ يبدأ هذه الكلمة بالجملة الخبرية التي يخبر بوساطتها أن الإنسان الذي يتميز بصفتي السخاء وحسن الخلق سيكون في كنف الله تعالى، ومن معاني الكنف: ((أنت في كنف الله تعالى: في حِرزه وستره. والكنف: الجانب والظل)) [٢١]، فالإنسان إذا ما اتصف بهاتين الصفتين المهمتين فإنه سيكون في حرز الله وستره ورعايته وجانبه وظلّه، وهذه منزلة كبيرة، ونعمة عظيمة سيحصل عليها الإنسان الذي ينماز بصفتي السخاء وحسن الخلق، فهذا الجزاء الكبير والسخيّ من الله جلّ شأنه يعطي الإنسان حافزا ودافعية كبيرة لكي يتّصف بهاتين الصفتين اللتين تعودان بالنفع الكبير على الإنسان والمجتمع؛ لأن الناس إذا ما كانوا أسخياء كرماء حسني الخلق فإن المجتمع سيتميّز بهاتين الصفتين، وسيكون مجتمعا سخيّا كريما يتميّز بالكرم وحسن الخلق.

يذكر الإمام بعد ذلك منزلة أخرى للإنسان المتّصف بصفتي السخاء وحسن الخلق، ظهرت في قوله: (لا يتخلى الله عنه حتى يدخله الجنة)، إذ أشارت (لا) النافية إلى عدم تخلي

الله تعالى عن هذا الإنسان حتى تتحقّق الغاية التي يرجوها طوال حياته، وهذه الغاية أظهرتها (حتى) الغائية، وهي دخول الجنة والعاقبة الحسنة التي يرجوها كل إنسان. إن تركيز الإمام على هاتين الصفتين في هذه الكلمة، وبيان الأجر العظيم لمن اتّصف بهما يبيّن سعيه إلى تحفيز الناس وتشجيعهم على الاتّصاف بهما؛ لأنهما يعودان بالنفع الكبير على المجتمع وأفراده، فالسخاء والكرم يجعل الناس يكرمون الفقراء والمعوزين، بل حتى غير المعوزين، فيتميّز المجتمع بصفة الكرم والتكافل الاجتماعي الذي يلبّي حاجات الطبقات الفقيرة، ولا يضطرها إلى بذل كرامتها؛ بسبب الحاجة، كما أن حسن الخلق يجعل المجتمع يمتاز بأخلاق عالية، ويتعامل أبناؤه على وفق منظومة أخلاقية راقية تجعل منه مجتمعا ينحو نحو المثالية والكمال والبعد عما يسيء إلى الذوق العام أو يخدش الحياء. ثم يذكر عليه السلام أهمية صفتي السخاء وحسن الخلق، فالله جل شأنه لم يبعث نبيا إلا وكان متصفا بالسخاء، فضلا عن أن أباه الإمام الصادق عليه السلام كان يوصيه طوال حياته بالسخاء وحسن الخلق حتى توفّاه الله، وفي ذلك حافز آخر يحفّز الناس والمجتمعات على أن يكونوا أسخياء كرماء وحسني الخلق؛ لكي يكونوا موسومين وموصوفين بصفات الأنبياء وأهل البيت عليهم السلام، ويكونوا في كنف الله تعالى، ويدخلوا الجنة التي وعدهم الخالق سبحانه بها.

٤ـ الخاتمة

بعد هذه الدراسة السيميائية السوسيونصّية خرجتُ ببعض النتائج التي أختم بها البحث، وهي كما يأتي:

١. يعدّ المسار السوسيونصّي من المسارات المهمة في التحليل السيميائي للنصوص، ولا سيما النصوص ذات الدلالات الاجتماعية، فهذا المسار التحليلي يسعى إلى رصد ودراسة الطرق والآليات التي تولّد الدلالة الاجتماعية في النصوص.

٢. إن النصوص الواردة عن النبي محمد صلى الله عليه وآله، وعن أهل البيت عليهم السلام تحمل الكثير من الدلالات الاجتماعية المهمة التي تهدف إلى بناء المنظومة الاجتماعية، والمجتمع المثالي الخالي من الأدواء والآفات الاجتماعية التي تنخره وتسبّب تصدّعه وانهياره.

٣. حفلت كلمات الإمام الكاظم عليه السلام بالكثير من العلامات اللغوية والإشارات السيميائية ذات البعد الاجتماعي الإصلاحي التي كان يريد عن طريقها إصلاح المنظومة القيمية والاجتماعية والأخلاقية؛ ليصبح المجتمع مجتمعا حضاريا متطوّرا ساعيا نحو الكمال الذي أراده الله للإنسان.

٤. انمازت كلمات الإمام الكاظم عليه السلام، فضلا عمّا تقدّم، بوجود العلامات اللغوية ذات الدلالات النفسية، فضلا عن بعض النصوص التي حملت مبادئ علم التنمية البشرية.

٥. يدعو البحث إلى الإفادة من المناهج النقدية الحديثة، وتوظيف العلوم الحديثة والنظريات المستحدثة في مقاربة نصوص القرآن الكريم، والنصوص الواردة عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وعن أهل بيته الطاهرين.

هوامش البحث

(١) - السيمياء العامة وسيمياء الأدب من أجل تصور شامل، عبد الواحد المرابط، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط ١، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، ١١٠.

(٢) - ينظر : السيمياء العامة وسيمياء الأدب، ١١١ - ١١٢.

(٣) - السيمياء العامة وسيمياء الأدب، ١١٢.

(٤) - تحف العقول عن آل الرسول، ابن شعبة الحراني، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٧، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ٣٠٣.

(٥) - مختار القاموس، الطاهر أحمد الزاوي، الدار العربية للكتاب، د.ط، ١٩٨٣، ٢٩، مادة أمع.

(٦) - تحف العقول، ٣٠٣.

(٧) - تحف العقول، ٣٠١.

(٨) - المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، دار الحديث، القاهرة، د.ط، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ٣١٨، مادة كفر.

(٩) - تحف العقول، ٣٠٤.

(١٠) - تحف العقول، ٣٠١.

(١١) - المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ضبطه: هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م، ٥٠٦، مادة نجو.

(١٢) - المصباح المنير، ٣٣٨، مادة مرأ.

(١٣) - الكليات، أبو البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ١١٣.

(١٤) - المفردات في غريب القرآن، ٢٣٨، مادة سرف.

(١٥) - تحف العقول، ٣٠٠.

(١٦) - مختار القاموس، ١٤١، مادة حشم.

(١٧) - تحف العقول، ٣٠٠.

(١٨) - نهج الفصاحة، تحقيق وترتيب غلام حسين المجيدي، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ٦٤٤.

(١٩) - نهج الفصاحة، ٦٤٤.

(٢٠) - تحف العقول، ٣٠٣.

(٢١) - مختار القاموس، ٥٣٨، مادة كنف.

قائمة المصادر والمراجع

١. تحف العقول عن آل الرسول، ابن شعبة الحراني، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٧، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢. السيمياء العامة وسيمياء الأدب من أجل تصوّر شامل، عبد الواحد المرابط، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط ١، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

٣. الكليات، أبو البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٤. مختار القاموس، الطاهر أحمد الزاوي، الدار العربية للكتاب، د.ط، ١٩٨٣.

٥. المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، دار الحديث، القاهرة، د.ط، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٦. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ضبطه: هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

٧. نهج الفصاحة، تحقيق وترتيب غلام حسين المجيدي، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.